الفصل السابع

حاولت مرارًا أن أخبرها بما يفعله زوجها معي ولكن للأسف ضربت بكلامي عرض الحائط وكانت تفسر كلامي غيرة منها إنها جميلة وتزوجت وأنا وأختي لمى لم يتقدم أحد لخطبتنا، شعرت بجرح كبير من كلامها لم أعد أكن لها أي احترام داخلي، وربما أكثر شعرت بكره شديد لها ولنفسي، كنت أظن أنها ستثور، ستخرجه من حياتنا، ولكن للأسف تمسكت به أكثر، أحبته أكثر، وأصبحت أنا ولمى مصدر تعب لها، هي تخلصت من هزار وزوجتها قبل وفاة والدي وسافرت مع زوجها فهو يعمل بكندا.

وبقيت أنا ولمى عائقًا في طريق سعادتها.

تملكتني تلك الفكرة التي قالتها أنت في الثامنة عشر من عمرك ولم تتزوجى وهذا يجعلك تريدين أن تزرع الشك في حياتي، وبدأت

أكلم نفسي هل حقا أنا لست جميلة؟حتى أني لم أتزوج هل فاتني القطار..تزعزعت ثقتي بنفسي.

زاد استهتاري وكل ما أفعله هو أني أريد أن أثبت أني مرغوبة وجميلة.

لا أعلم ما الذى جعل لمى في تلك الليلة تتقرب مني تجلس بجانبي تتلمس شعري بحنان لم أعتده منها، ربما تلك الدموع التي كانت تنهمر من عيني في كل ليلة قبل النوم، حياة حبيبتي بعد موت الأب، وزواج أختنا هزار، لم يبق سوانا لما لا نكون صديقتين تحكي لي همومك وإنا بدوري أخفف عنك.

رغم أن تصرفاتي لم تكن تروق لها وتكره استهتاري ولكنها كانت لطيفة جدًا وتتقرب لي.

انتفضت من الفراش وسألتها بلؤم: مار أيك فى زوج والدتك.

أخبريني كيف هي علاقتك به. وماذا يفعل حين تذهبين إلى المكتب، لو تكلمتي سأخبرك بكل شيء بدوري، ما رأيك؟.....

- لاتريدين الكلام، حسنًا استعدي إذاأناسأتكلم حين أذهب إليه يعاملني على أني عشيقة له ومؤكد تعلمين ماذا يعني عشيقة.

وأخبرت والدتنا بكل ما يفعل معي، ولكنها صدتني وقالت أني أكذب وأريد أن أشكك بزوجها وحبيبها أنانية مني وغيرة هو تفسيرها لما قلت.

ما رأيك أنت..؟ تكلمي لمى أقسم هذا ما يحدث، ومنذ زمن طويل وفي كل مرة أذهب فيها إليه يحدث نفس الشيء.

- **قالت لمى:**

هو ذات الشيء يحدث معي ولم أتصور أنه يفعلها معك. أي رجل قذر هذا قتل والدنا ويريد تحطيمنا.

- أخبريني لمى ما قصة المال الذي نحضره منه.

المال هو من أبينا تأخذه والدتك منه وتعطيه لهذا الرجل يعمل به ويعطيها الأرباح.

إذًا سرق من والدنا زوجته وماله وشرفه ونحن.

نزلت كلماتي كالصاعقة عليها

وضحكتُ ضحكة عالية هي نوبة من الجنون الهستيري

ارتميت على صدرها وأنا بين بكاء وضحك، أخذتني إلى صدرها ضمتني إليها وكلانا يبكي.

وكانت أول ليلة ننام فيها معا، عانقنا خيبتنا وحزننا ونمنا مع القهر في سرير واحد.

وبعد منتصف الليل أفقت من نومي على صوت ضحكات والدتي..انسحبت من السرير بحيث لا تشعر لمى، وخرجت من غرفتي، نزلت الدرج، ووقفت خلف الباب، سمعت ضحكاتها وهمس الرجل بكلمات جعلتني أزداد اشمئزازًا من كلاهما، لم أعد أعلم ماذا أفعل !! ناديتها أن تخرج إلي هي وزوجها لم أعد أعرف ماذا أفعل؟ ترآى لي والدي يقف ويسمع ما يحدث، يطردها وإياه من منزله وبعد برهة خرجت.

- مابك هل أصابك الجنون؟؟

- نعم أنا مجنونة ولا يمكن أن يحاسب المجنون على مايقول نادي ذاك الحقير يخرج من بيتنا

أتسمعين...وإلا أقتله أمام عينيكِ، دعيه يخرج من بيت أبي، الذى لطخه وحطمه.

- رفعت يدها وصفعتني على وجهي وهنا زاد جنوني وصراخي أفاقت لمى على صوتي

- ماذا حدث؟ مابك حياة؟

- تعالي لمى وانظري هذا النذل في بيتنا في فراش أبينا!

ومع كل هذا الصراخ والكلام لم يخرج زوجها من الغرفة وهي تحاول إخراسي حتى لا يسمع ويتركها، تعالي لمى وانظري كيف هو معنا ومع والدتك عاشق!!

- أخبري والدتك ماذا يفعل معك، هي لم تصدق كل ما قلت لها، أخبريها لمى!

وخرج زوجها مرتديا ملابسه وقبل خروجه من المنزل

قال لها:

لن ترين وجهي طالما أني لست محترما بهذا البيت. وهي ترجوه ألا يخرج توسلت إليه لكن لم يسمع منها «أغلق الباب في وجهها، كذب الكذبة وصدقها.

وعادت إلينا تصرخ في وجهنا:

- لماذا ألا يكفيني شقاء؟ دعوني أعيش مع رجل يحبني ويحبكم، ماذا تريدون أكثر مما يقدمه لكم؟

وكأنها لم تسمع كل ماقلته لها من لمسه لي ولأختي لمى. دخلت غرفتها تبكي ونحن ننتظر خارج الغرفة، تصورت للحظات أنها ستنادى علينا وتخبرنا أنها صدقت كل ما قلته لها عن زوجها، وإنها لن تستطيع العيش بدوننا، ولن يكون لهذا الرجل مكان بيننا بعد

اليوم ولكنها لم تخرج من غرفتها، ذهبنا لغرفتنا نجر وراءنا أذيال الخيبة.

وفي الصباح لم نجدها بالبيت، أخذت كل ما يخصها،وتركته دون وداع.

وبقيت وأختي ولمى وحدنا، تارةً نبكي وأخرى نضحك، لم ندرك ماذا حدث، هل حقا تركتنا من أجله، أيعقل..لانعني لها شيئا، ألف سؤال وسؤال، دون جواب، ومرت علينا شهور على هذا الحال لا نعرف عنها أي شيء سوى بعض الهمس من الجيران أننا طردناها من البيت حتى نعيش على هوانا دون رقيب.

كنت حينها بمدرسة خاصة وقد دفعت قسط المدرسة كاملًا، ولم يعد معنا أنا وأختي ما نصرف منه قررت أن أترك المدرسة، لم أكن أهتم بالدراسة عكس لمى فهي متفوقة فى دراستها، وخطر لي أن أسحب القسط من المدرسة.

وفي الصباح ارتديت بنطالًا أسود وقميصا أسود لتظهر عليَ معالم الحزن ذهبت للمدرسة بعد غياب طويل لم أجد صعوبة في اختراع كذبة تقنع الإدارة بإعادة المال لي. فور دخولي الإدارة وجدت نفسي وأنا في حالة حزن أخبر المديرة أن والدتي توفيت، اجتمعت المدرسات على هذا الخبر فى حزن وتأثر وأنا أجهش بالبكاء استحضرت برأسي كل ما يجعل دموعي تنهمر دون عناء،

حتى فقدت الوعي أفقت، من غيبوبتي تلك والمدرسات فوق رأسي يبكين فى تأثر لما أنا به من حزن. وأخبرت المديرة أن لا وارد لدينا أنا وأختي لذلك يجب أن أترك المدرسة وهذا المبلغ يساعدني إلى أن أجد عملا، وعدتني المديرة أن تعيد لي قسط المدرسة كي أتدبر أموري.

بعد يومين طلبتني المديرة، توقعت أنها ستعيد إلي المال، دخلت المكتب متشحة بالسواد وجلست على الكرسي المقابل لها، نظرت في عينيها. وجدت لمعة غريبة وكأنها علمت شيئًا ما، انتابني خوف من نظرتها وأنا أنتظر أن تتحدث إلي.

- بدأت المديرة حديثها...

أخبريني حياة:كيف توفيت والدتك؟!

- هدوئها جعلني أتأكد أن هناك شيئًا ما تريد أن تفصح به ليس لصالحي يبدو أني خسرت الجولة.

بدأت دموعي تنهمر وأنا أبتلع أنفاسي قلت لها: والدتي لم تمت لكنها بعد وفاة والدي تركتنا وذهبت تعيش مع زوجها الجديد وبقيت أنا مع أختي بمفردنا في البيت أليست ميتة بالنسبة لي..؟

كنت أبكي وكلماتي المتقطعة لا تكاد تفهمها. هل من الممكن أن أخبر الإدارة كلها بقصتي تلك لقد شعرت بالطمأنينة واعتبرتك أختي الكبيرة لذلك أخبرتك الحقيقة.

- خرجت من وراء مكتبها وتقدمت نحوي وربتت على كتفي

وقالت:

- حسنًا يا بنتي كفا بكاء وأذهبي لصفكِ وانتبهي لدروسك وانسي كل شيء لا يفيدك الآن إلا شهادتك وأعدك بالمساعدة.

كانت تتكلم وأنا أبكي بحرقة.لقد ذهب المال الذي أطمع باسترداده، خرجت من الغرفة وأنا فى حزن أعمق مما كنت فيه.

ولم أعلم سبب استدعاء الإدارة لي وما الذي دفعني أن أخبرها الحقيقة أخبرتني إحدى صديقاتي أنها رأت والدتي في غرفة الإدارة. وقفت مذهولة. وشكرت الله أنه ألهمني بأن أكون صادقة مع المديرة وفي باحة المدرسة قبل الانصراف أخبرتني فراشة المدرسة بما حدث في الإدارة.

كيف عرفت إدارة المدرسة بعنوان الأم وقد غادرت البيت مع زوجها ؟؟

قالت: دخلت والدتك الإدارة كانوا قد أرسلوا إليها ورقة بسبب غيابك المتكرر عن المدرسة الفترة الأخيرة، عرفت نفسها أنا والدة حياة وقف المدرسون فى ذهول وبصوت واحد «المرحومة» أصفر وجه والدتك وأصابها الذهول حتى أن هناك مدرسة كانت تعرف والدتك من قبل، وحين رأتها قبل أن تعرف عن نفسها وقعت مغمى عليها حين رأتها، أخبروها المدرسات بما أخبرتهم عنها وبدا

الأسف على وجهها. وبالغت المدرسات بلومها بسبب زواجها وتركها لك.

طبعا أخبرتهم والدتك أنك أنت من طلب منها ترك المنزل لأنه منزل أبيكِ، وهنا نقمت عليكِ أغلب المدرسات، وتمتمتُ بكلمات لم أفهمها أنا نفسي.علمت حينها سبب نظرة الازدراء من المدرسات وتغير معاملتهن لي بعد ذلك بعد أن كنت مركز اهتمامهن لمشاركاتي ونشاطي الذي كان يشهده الجميع.أصبحت أتغيب عن المدرسة كثيرا كانت نتيجة السنة متوقعة الرسوب وبجدارة.

كانت خسارة زوج أمي كبيرة بعد أن تمردت عليه فما كان منه إلا أن ملأ صدر أمي بالحقد علينا. لم أهتم لما أسمعه على لسانهم من كلام لم يعد يعنيني بشيء فهو لم يعد الوسيط ولا العصا السحرية التي تلبي لي طلباتي بعد خروجهم من البيت.أفعل ما أشاء ومتى أشاء أسهر، وأرقص.حتى أني أبيت عند بعض الصديقات أحيانا.

أحسست برغبة كبيرة في تلك المرحلة وحاجة ملحة أن أكلم محمود ربما لأني أردت أن أعرف إحساس الحب مع نشوة القرب، لأعوض تلك الحالة الغريبة التي كنت أعيشها مع زوج أمي. وكان محمود دائما هو الذى أمام عيني وفي خيالي لماذا لا يكون هو الواقع أيضا والآن!!